رؤية بانوراميّة

لسيرة

الامام عبد القادر الجيلي

مع الشيخ عبد القادر الجيلي

1- اسمه وكنيته ونسبه:

أبو صالح السيد محيي الدين عبد القادر بن السيد أبي صالح موسى بن السيد عبد الله الجيلاني بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد المدني بن السيد داود أمير مكة بن السيد موسى الثاني بن السيد عبد الله أبي المكارم بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد الحسن المثنى بن السيد الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب زوج السيدة البتول فاطمة الزهراء بنت رسول الله محمد "صلى الله عليه وآله وسلم". فبينه وبين فاطمة الزهراء "رضي الله عنها" أحد عشر أبا[1].

---

[1] ينظر: ابن الجوزي، المنتظم، ج 10، ص 219، ج 10، ص 7، ج 10، ص 194. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 426. وابن الأثير، الكامل. وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج8، ق 1، ص 264، 124. الشطنوفي، بهجة الأسرار، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج 39، ص 86-100، وينظر ج 36، ص 10. والعبر في خبر من غبر، ج 3، ص 36. وابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص 127 (الرقم 125). والعمري، مسالك الأبصار، ج 8، ص 188- 196 (الرقم 49)، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 26-28 الرقم (7158). واليافعي، مرآة الجنان، ج 3، ص 262-275. وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 313، وينظر ج 12، ص 244، و ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ط (بدون)، 2 ج، (تصحيح محمد حامد الفقي)، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1952. ج 1، ص 290-301 (الرقم 134). وابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن احمد المصري، (ت 804 هـ). طبقات الأولياء، ط 2، (تحقيق نور الدين شريبة)، دار المعرفة، بيروت، 1986. ص 246، والجامي، نفحات الأنس، ج 2، ص 679-682، والتادفي، قلائد الجواهر، (والكتاب في مناقب صاحب الترجمة). الشعراني، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 177-186 (الرقم 248)، والمناوي، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 676 (الرقم 424)، وابن العماد، شذرات الذهب ج 6، ص 330-336. والقادري، ظهير الدين، الفتح المبين، ص21، ومخطوطة محي هلال السرحان، المهداوي، إيمان كمال مصطفى، عبدالقادر الكيلاني أديبا، ص32، و"نسب الشيخ عبدالقادر الجيلي"، ثابت لا ينكره إلا معاند أو جاهل يقول: إن قاضي القضاة ببغداد في عصره، عماد الدين نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر، هو أول من أعلن ذلك، والجواب: إنه صاحب مسؤولية وأمانة كبرى في بغداد، عاصمة العالم القديم، وعندما دوّن نسب أسرته كان لإقرار بواقع، وإعلان حقيقة وهو "قاض" وليس "وليا" مثل جده، وفي ذلك يقول (نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر):

((نحن من أولاد خير الحسنين*من به أصلح بين الفئتين
يشبه المختار في أعلاه إذ*كان ادناه شبيها بالحسين
سرّ كتمان أبينا أصله*أنّه قال بأن الفقر زين.))

2- مولده و نشأته:

ولد الشيخ عبد القادر الجيلي في (جيل العراق) في 11 ربيع الثاني وهو الأشهر[1]، سنة 470 هـ الموافق 1077م[2]، في جيل العراق وهي قرية قرب المدائن جنوب بغداد, وهذا ما نأخذ به نتيجة البحث[3]، لا في جيلان الطبرستان كما يردد اعتمادا على رواية واحدة رددتها بعض الكتب بلا تدقيق او نظر وهو موضوع بحثنا.

وقد نشأ الشيخ عبد القادر في أسرة وصفتها المصادر الإسلامية بالصالحة[4]، فقد كان والده أبو صالح موسى على جانب كبير من الزهد وكان شعاره مجاهدة النفس وتزكيتها بالأعمال الصالحة ولذا كان لقبه "محبّ الجهاد" وأمه فاطمة بنت عبدالله الصومعي الزاهد الحسيني[5]. وكانت للشيخ

انظر: ابن الصابوني، تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، جمال الدين أبي حامد محمد بن علي المحمودي، المعروف بابن الصابوني، المتوفي سنة 680هـ، حققه وعلق عليه، الدكتور مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي،1957، ص371، مع العلم أن الإمام الجيلي، أشار لنسبه الشريف في العديد من أشعاره المشهورة، وكتبت في ذلك المجلدات، وممن صرح بنسبه الحسني الشريف، المفكر الايراني المعروف، الدكتور "مرتضى مطهري"، في كتابه الإسلام وإيران، ترجمه هادي الغروي، مطبعة سبهر، طهران، 1985، ص207، وللباحث دراسة في تحقيق نسبه الشريف، بطريقة علمية وحسب منهج البحث التاريخي وهي ما زالت مخطوطة موجودة في المكتبة القادرية الشريفة تحت رقم 5046 تصوف.

[1] الدروبي، إبراهيم، المختصر في تاريخ شيخ الاسلام، ص112، ومخطوطة أنساب الطالبيّين للآلوسيّ، ورقة98.

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 84 – 85، ابن النجار، ذيل تاريخ بغداد، ج 5، ص 28 –29، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق 1، ج 8، ص 173.

[3] الكيلاني، جمال الدين فالح، الشيخ عبد القادر الكيلاني، رؤية تاريخية معاصرة، ص87.

[4] ابن الدبيثي، محمد سعيد، المختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد، ط 1، 3 ج، 1 م، (دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا)، منشور مع كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في المجلد رقم 15، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997. ص 87 – 88 (الرقم 291).

[5] ابن كثير، البداية والنهاية في التاريخ،ج11، ص116، وكانت والدته لحقت به ببغداد، بعد أن استقر فيها الشيخ عبد القادر وأصبح له شأنًا ومكانة مرموقة ورافقته في رحلته الثانية للحج وتوفيت ببغداد ولم نجد تحديدا لتاريخ وفاتها مع الاسف، مخطوطة مناقب الشيخ عبد القادر، لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني، مكتبة (الاسكوريال) بأسبانيا المحفوظة تحت الرقم (417/2) ورقة 11ب، مصورة الدكتور محيي هلال السرحان، وينفي الدكتور عبد الله السامرائي:"نسبه المقامات

موسى أخت صالحة اسمها عائشة[1]، كان الناس يستسقون بها إذا حُبس عنهم المطر، وكان جدّه عبد الله بن يحيى الزاهد من أهل الإرشاد، وأما صفات الشيخ عبد القادر الخَلْقية رضي الله عنه كان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه نحيف البدن مربوع القامة عريض الصدر عريض اللحية طويلها أسمر اللون مقرون الحاجبين ذا صوت جهوري وسمت بهي وقدر علي وعلم[2].

المنسوبة لها وله" في بعض البلدان الإسلامية وهو ما أكده الدكتور عماد عبد السلام رؤوف، انظر: السامرائي، عبدالله سلوم، دراسة في سلسلة نسب الشيخ عبد القادر الكيلاني، مكتوبة بخط اليد (مصورة)، لدى السيد عبد الستار هاشم سعيد الكيلاني، مقابلات متعددة ومطولة مع (أستاذي وشيخي) الدكتور عماد عبد السلام رؤوف **1996/9/1** وما بعدها.

[1] ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج**4**، ص**199**.

[2] الواضح الجلي: أن جده الأول "عبدالله الجيلاني" هو أول من استوطن جيل العراق منتقلا إليها من إمارة الحسنيين في المشرق الإسلامي في "كردستان الكبرى المترامية الأطراف" وأن جده يحيى الزاهد، هو أول من دخل المشرق، واقرب الاعلام نسبا اليه: هو الامام علي الشرقي (الشرجي: باللهجة العراقية) بن احمد بن محمد المدني بن داود الامير بن موسى الثاني (دفين قضاء علي الشرقي–محافظة ميسان)، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج**9**، ص**561**، العمري، ابو الحسن، المجدي في النسب، مخطوط مكتبة الاسكندرية رقم **3742** ورقة **31**، الكيلاني، جمال الدين فالح الكيلاني، الامام عبد القادر الجيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان، مجلة كلية الاداب، جامعة عين شمس، **2009**، تراجع –دراسة– التي كتبها الدكتور صالح احمد العلي عن عرب خراسان، والمقالة التي كتبها الدكتور عبد الرزاق الانباري، التوزيع الجغرافي لعرب خراسان، والكتاب الذي الفه الدكتور ناجي حسن الياسري، بعنوان القبائل العربية في المشرق، مع اهمية الرجوع الى المصادر.

3- أسفاره:

أ- من الجيل الى بغداد :

كان الشيخ عبد القادر الجيلي قد نال قسطاً من علوم الشريعة في حداثة سنه على أيدي أفراد من أسرته[1]، ولمتابعة طلبه للعلم رحل إلى بغداد ودخلها وعمره ثمانية عشر عاماً سنة 488هـ الموافق 1095م في عهد الخليفة العباسي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبد الله العباسي. وبعد أن استقر الشيخ عبد القادر في بغداد انتسب إلى مدرسة الشيخ أبو سعيد المخرمي التي كانت تقع في حارة باب الأزج، في أقصى الشرق من جانب الرصافة، وتسمى الآن محلة باب الشيخ، وفي سفرته هذه كانت له قصة ننقلها للتوثيق والدرس، من مخطوطة معتمدة، قال الشيخ عبد القادر "بَنَيْتُ أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من الجيل إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أُمِّي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولمَّا وصلنا أرض خواء خرج علينا عرب، فأخذوا القافلة، فمرَّ واحد منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا. فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدَتْني أُمِّي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها. فصاح باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أُمِّك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله!! ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك. فقال مَنْ معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة، فتابوا جميعًا ببركة الصدق وسببه[2].

---

[1] ابن الديبثي، المصدر السابق، ص306.

[2] الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج2، ص441، و ينظر هامش 36، للدكتور مصطفى جواد، في تحقيقه لكتاب تكملة اكمال الاكمال، لابن الصابوني، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد،1957، انظر: بهجة الأسرار، للشّطّنوفيّ، تحقيق: جمال فالح الكيلانيّ، ص156.

ب– من بغداد الى بعقوبة :

وللشيخ عبدالقادر، سفرة ثانية في حياته وهي من بغداد الى مدينة بعقوبة، بقصد الكسب وقد وصفها بقوله، "كان جماعة من اهل بغداد يشتغلون بالفقه فاذا كان ايام الغلة يخرجون الى الريف يطلبون شيئا من الغلة فقالوا لي يوما اخرج معنا الى بعقوبة نحصل منها شيئا... فخرجت معهم وكان في بعقوبة رجل صالح يقال له "الشريف البعقوبي" فمضيت لأزوره فقال لي: مريدو الحق والصالحون، لا يسئلون الناس شيئا، ونهاني ان اسئل الناس فما خرجت الى موضع قط بعد ذلك، وكان لهذه السفرة وقع بيلغ في نفس الشيخ عبدالقادر، حيث تركت فيه اثرًا عميقًا وعلمته درسًا بليغًا نافعًا، ويظهر من امتناع الجيلي عن السؤال قوة الارادة الصادقة في الامتثال لقبول النصيحة كما يظهر استعداده للطاعة عند صدور الامر الصالح[1].

ج– من بغداد الى الديار المقدسة :

وتؤكد المصادر والمراجع، انها سفرتان لا واحدة، وكانت بقصد أداء فريضة الحج، وقد كانت الحجة الاولى سنة 509هـ، وفيها التقى الشيخ عدي بن مسافر، واما الحجة الثانية فكانت سنة 555هـ، وفيها التقى بعدة شيوخ من ابرزهم الشيخ ابي مدين شعيب وغيره من الاعلام، وكانت برفقته والدته، وقال عبدالرزاق بن الشيخ عبدالقادر، "لم يحج والدي رضي الله عنه بعد ان اشتهر امره الا حجة واحدة وكنت فيها قائد زمام راحلته، ولم يعرف

[1] الشريف البعقوبي: أبو عبد الله محمد بن علي بن عرفة البعقوبي الشافعي الاشعري، من أعلام التصوف العراقي وأعلام مدينة بعقوبة في العصر العباسي الثاني ومن جملة مشايخ الشيخ عبد القادر الجيلاني، تذكرة المقتفين لآثار اولي الصفا وتبصرة المقتدين، للواسطي، ص421، مخطوطة مصطفى جواد، لدى ولده جواد مصطفى جواد.

للشيخ عبد القادر غير هذه السفرات، وبعدها انقطع للتدريس والوعظ والإرشاد"[1].

[1] وهناك اشارة كونها توفيت ببغداد بعد ان كانت التحقت بولدها الشاب وهذه المخطوطة لم تحدد وفاتها أيضا، ابن الجوزي، كلام الشيخ عبدالقادر، مخطوطة سالم الالوسي، وانظر للتوسع: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 7-76.

4- الأوضاع السياسية والاجتماعية :

وكان العهد الذي قدم فيه الشيخ الجيلي إلى بغداد تسوده الفوضى شملت كافة أنحاء الدولة العباسية[1]، حيث كان الصليبيون يهاجمون ثغور الشام[2]، وقد تمكنوا من الاستيلاء على أنطاكية وبيت المقدس وقتلوا فيهما خلقًا كيثرًا من المسلمين ونهبوا أموالًا كثيرة[3]. وكان السلطان التركي "بركياروق" قد زحف بجيش كبير يقصد بغداد ليرغم الخليفة على عزل وزيره "ابن جهير" فاستنجد الخليفة بالسلطان السلجوقي "محمد بن ملكشاه" ودارت بين السلطانين التركي والسلجوقي معارك عديدة كانت الحرب فيها سجالا، وكلما انتصر أحدهما على الآخر كانت خطبة يوم الجمعة تعقد باسمه بعد اسم الخليفة[4].

وكانت فرقة الباطنية[5] قد نشطت في مؤامراتها السرية واستطاعت أن تقضي على عدد كبير من أمراء المسلمين[6] وقادتهم فجهز السلطان

---

[1] ابن الدبيثي، المصدر السابق، ص124.

[2] القادري، ظهير الدين، المصدر السابق، ص16، وعليوي، جعفر موسى، عبدالقادرالجيلاني والتصوف، أطروحة دكتوراة، كلية الاداب جامعة بغداد 2002، ص198.

[3] ابن كثير، المصدر السابق،ج3، ص43.

[4] ابن الاثير، اللباب في معرفة الانساب، ج1، ص266.

[5] أطلق عليهم اسم الحشيشية لاستعانتهم بالحشيش في الترويج لمذهبهم وفي حوادث الاغتيال السياسي ولذلك اشتهرت كلمة حشاش في اللغات الاوربية بمعنى "قاتل"، وينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص27، 29، والقاري، علي بن سلطان، نزهة الخاطر الفاتر في سيرة الشيخ عبد القادر الجيلاني، مخطوطة القادرية، ص43، وشعبان، محمد عبد الحي محمد شعبان، التاريخ الاسلامي تفسير جديد (الدولة العباسية)، المكتبة الاهلية، بيروت، 1977 ص134، واركون، محمد، الفكر الاسلامي: نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح؛ دار الساقي بيروت، 2009، ص 124.

[6] المكي، بن عزوز، السيف الرباني، ص406.

السلجوقي جيشاً كبيراً سار به إلى فارس فحاصر قلعة "أصفهان" التي كانت مقراً لفرقة الباطنية وبعد حصار شديد استسلم أهل القلعة فاستولى عليها السلطان وقتل من فيها من المتمردين[1]، وكان "صدقة بن مزيد" من أمراء قبيلة بني أسد[2] قد خرج بجيش من العرب والأكراد يريد الاستيلاء على بغداد فتصدى له السلطان السلجوقي بجيش كبير من السلاجقة فتغلب عليه[3]. وكان المجرمون وغيرهم من العاطلين والأشقياء ينتهزون فرصة انشغال السلاطين بالقتال فيعبثون بالأمن في المدن يقتلون الناس ويسلبون أموالهم فإذا عاد السلاطين من القتال انشغلوا بتأديب المجرمين[4] وهذا كان حال السياسة ،انها ميكافيللية لا ترحم، وفي غمرة هذه الفوضى كان الشيخ عبد القادر يطلب العلم في بغداد[5]، وتفقه على مجموعة من الشيوخ والفقهاء ومن بينهم الشيخ أبوسعيد المُخَرَّمي، فبرع في المذهب والخلاف والأصول وقرأ الأدب وسمع الحديث على أيدي كبار المحدثين. وقد أمضى الشيخ من عمره ثلاثين عاما يدرس فيها علوم الشريعة أصولها وفروعها[6].

---

[1] الكيلاني، علاء الدين، تحفة الابرار ولوامع الابرار، مخطوطة جامعة برنستون، نسخة السيد عبدالستار هاشم سعيد الكيلاني (لواء مهندس متقاعد)، ص76.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج5، ص371.

[3] ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج 10، ص 208 ،211، 220 – 221، 252، 257، 264 ،271.

[4] ابن الاثير، المصدر السابق، ج9، ص561، وينظر: النجار، محمد رجب، حكايات الشطار والعيارين، عالم المعرفة، الكويت،1981، ص 176.

[5] ابن خلكان، وفيات الاعيان،ج3، ص 24، 227، 254، 446.

[6] ابن الوردي، مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب، نسخة سالم الالوسي، ص181.

5- جلوسه للوعظ والتدريس:

حينما أنس الشيخ أبو سعيد المُخَرمي من تلميذه عبد القادر غزارة العلم ووفرة الصلاح عقد له مجالس الوعظ في مدرسته بباب الأزج في بداية 521 هـ، فصار يعظ فيها ثلاثة أيام من كل أسبوع، بكرة الأحد وبكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وكان اول كلامه: (غوّاص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف، فيستخرجها الى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان، فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة، في بيوت أذن الله أن ترفع)[1] واستطاع الشيخ عبد القادر بالموعظة الحسنة أن يردَّ كثيراً من الحكام الظالمين عن ظلمهم وأن يردَّ كثيراً من الضالين عن ضلالتهم وخصَّ الحاكمين بانتقاداته وحذّر الناس من الانصياع لهم بما يخالف الشريعة يقول في أحد مجالسه: صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة، و يحكم جعلتم الفرع أصلاً، المرزوق رازقاً، والمملوك مالكاً، الفقير غنياً، العاجز قويا والميت حياً، إذا عَّظمت جبابرة الدنيا وفراعينها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عز وجل ولم تعظِّمه، فحكمك حكم من عبد الأصنام، تصيّر مَنْ عظّمتَ صنمَك، وانتقد الولاة والموظفين الذين يجتهدون في تنفيذ أوامر السلاطين دون تحرز ولم تتوقف

---

[1] انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 9، ص 168– 170. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 49، وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 39–40، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4، ص 216–219، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، ص 191 (ترجمة مطولة)، والاسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص 111، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 214، والجامي، نفحات الأنس، ج 2، ص 516، والمناوي، الطبقات الكبرى، ج 1، ص 704، (الرقم 445). وابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج2، ص40، كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 7–76..

انتقادات الشيخ عبد القادر للحكام عند المواعظ العامة، وإنما تناولت المواقف الخاصة التي تبرز فيها انحرافات أو مظالم، ففي عام 541هـ/1146م ولّى الخليفة المقتفي يحيى بن سعيد المعروف بابن المرجم القضاء. فمضى الأخير في ظلم الرعايا ومصادرة الأموال وأخذ الرشاوي، فكتبت ضده المنشورات وألصقت في المساجد والشوارع دون أن يستطيع أحد أن يجهر بمعارضته. ويذكر سبط ابن الجوزي أن الشيخ عبد القادر، اغتنم وجود الخليفة في المسجد وخاطبه من على المنبر قائلاً: وليت على المسلمين أظلم الظالمين وما جوابك غداً عند رب العالمين، فعزل الخليفة القاضي المذكور ولقد تكررت هذه المواقف مع الوزراء والرؤساء والحجاب، وتذكر المصادر التاريخية أن هؤلاء كانوا يستمعون لملاحظات الشيخ عبد القادر لاعتقادهم بصلاحه وصدق أغراضه، فلقد حرص الشيخ عبد القادر على أن يبقى بعيداً عن مواطن الشبهات أو التقرب للحكام، فقد ذكر عنه أنه ما ألمّ بباب حاكم قط وأنه تتناولها يده[1]، وحيث كان الوزراء والأمراء والأعيان يحضرون مجالسه، وكانت عامة الناس أشد تأثراً بوعظه، فقد تاب على يديه أكثر من مائة ألف من قطاع الطرق وأهل الشقاوة[2]، وأسلم على يديه ما يزيد على خمسة الآف من اليهود والنصارى[3]. و أيضا، فإن الجيلي قد تأثر بفكر الغزالي حتى أنه ألف كتابه "الغنية" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين". وانه التقى به وجلس بين يديه وأخذ عنه[4] وكان الشيخ عبد

---

[1] الكتبي، ابن شاكر، فوات الوفيات، ج1، ص73.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص 72.

[3] شيمل، الابعاد الصوفية في الاسلام، ص 297.

[4] انظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج 10، ص 182، وابن نقطة، أبو بكر محمد بن عبد الغني الحنبلي البغدادي، (ت 629 هـ). كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد، (تصحيح وتعليق الطاف حسين)، ط 1، 2 ج، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكنّ–الهند، 1983. ج 2، ص 163، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 226، والذهبي، تاريخ الاسلام، ج 38، ص 112،وابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ص 113 (الرقم 105)،

القادر يتمتع بشخصية "كارزمية" فذة ونفوذ روحي فكان يسيطر على قلوب المستمعين إلى وعظه ويستهوى نفوسهم في التلذّذ بحديثه[1]، حتى أنه استغرق مرة في كلامه وهو على كرسي الوعظ فانحلت طيّة من عمامته وهو لا يدري فألقى الحاضرون عمائمهم وطواقيهم تقليداً له وهم لا يشعرون وكان شديدا في انتقاده العلماء الذين يطرقون أبواب السلاطين فيقول لهم: يا سلاّبين الدنيا بطريق الآخرة من أيدي أربابها. يا جهالاً بالحق؛ أنتم أحقّ بالتوبة من هؤلاء العوام، أنتم أحق بالاعتراف بالذنوب من هؤلاء؛ لا خير عندكم. وقال: لو كانت عندك ثمرة العلم وبركاته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها.

وحذّر عامة الجماهير من حضور مواعظهم والاستماع إلى أحاديثهم فقال: يا عباد الله... لا تسمعوا من هؤلاء الذين يُفرحون نفوسكم. يذلون للملوك ويصيرون بين أيديهم كالذّرّ لا يأمرونهم بأمر ولا ينهونهم عن نهي. إن فعلوا ذلك فعلوه نفاقاً وتكلّفا طهّر الله الأرض منهم ومن كل منافق أو يتوب عليهم ويهديهم إلى بابه إنّي أغار إذا سمعت واحداً يقول: الله الله وهو يرى غيره.

كما نعى على العلماء المتعصّبين للمذاهب ومن ذلك قوله: دع عنك الكلام فيما لا يعنيك. اترك التعصب في المذاهب واشتغل بشيء ينفعك في الدنيا والآخرة. يريد بذلك تصحيح الوضع السائد والمساهمة في تخريج جيل من العلماء الربانيين الذين يقومون بوعظ الناس وهدايتهم وتزكيتهم ونشر التعاليم الصحيحة في أوساط الأمة حتى يخرج جيل النصر المنشود

والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 18، ص 7، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 297، وابن العماد، شذرات الذهب، ج 6، ص 275، وينظر الكيلاني، جمال الدين فالح، لقاء الامامين الغزالي والجيلاني: حقيقة تاريخية، مجلة الديار اللندنية، العدد 854.

[1] ابن العماد، المصدر السابق، ج5، ص19.

الذي يتحقق على يديه وعد الله بالنصر للمؤمنين وقد حالف الشيخ عبد القادر الكثير من النجاح[1].

و بعد أن توفي الشيخ أبو سعيد المبارك المُخَرمي فُوّضت مدرسته إلى خليفته الشيخ عبد القادر الجيلي فجلس فيها للتدريس والفتوى، وكانت شخصيته الفذّة وحبه للتعليم وصبره على المتعلمين جعلت طلاب العلم يقبلون على مدرسته إقبالا عظيما حتى ضاقت بهم فأضيف إليها ما جاورها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها وبذل الأغنياء أموالهم في عمارتهم وعمل الفقراء فيها بأنفسهم حتى تم بناؤها سنة 528 هـ الموافق 1133م. وصارت منسوبة إليه[2].

[1] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 138، والشطنوفي، بهجة الأسرار، ص 309، 114.

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج10، ص173؛ وللتوسّع في بذل المال انظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج5، تحقيق محمد احمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1978، ج6، ص176، والمدرس، عبد الكريم، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج5، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1997، ج5، ص87، وأبو الاعلى المودودي، تفسير سورة النور، المكتبة الاسلامية، القاهرة،1958، ص35.

6- الملامح العامة لدعوته للإصلاح:

بدأ مجلسه بالرجلين والثلاثة ثم تزاحم الناس حتى صار مجلسه يضمّ سبعين ألفاً، ثم تزايد الإقبال حتى ضاقت المدرسة فخرج إلى سور بغداد بجانب رباطه، وصار الناس يجيئون إليه ويتوب عنده الخلق الكثير، ومنذ ذلك الوقت بدأ الشيخ عبد القادر دعوته التي انمازت بأمور؛ منها: اعتماد التعليم المنظم والتربية الروحية المنظمة، كرّس الشيخ عبد القادر معظم أوقاته للمدرسة التي آل أمرها إليه بعد شيخه أبي سعيد المخرمي فكان لا يخرج منها إلا يوم الجمعة إلى المسجد أو الرباط وكان يعتز بمهنة التدريس هذه ويعدّها "أشرف منقبة وأجلّ مرتبة". وإنّ العالم محبوب من أهل الأرض. لقد أمضى الشيخ عبد القادر في التدريس ثلاثاً وثلاثين سنة بدأها عام 528هـ/1133م حتى وفاته عام 561هـ/1116م.

7- منهجه في الدعوة والإرشاد:

وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً ويؤهلهم لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويشتمل المنهج على:

أ- الإعداد الديني والثقافي: يتحدد هذا الإعداد بحسب عمر الطالب أو المريد وحاله، ويتسع المنهج تدريجيا حتى يتضمن حوالي ثلاثة عشر علماً تشمل التفسير والحديث والفقه والخلاف والأصول والنحو والقراءات بالإضافة إلى ما سبق ذكره، وكان الجمع بين الفقه والتصوف شرطاً أساسياً للمريدين.

ب- الإعداد الروحي: يستهدف الإعداد الروحي تربية إرادة المتعلم أو المريد حتى يصبح صفاء بلا كدر ويصير مع النبي صلى الله عليه وسلم في عقله ومشاعره ومعناه ويكون دليل قدوته. كما أقام التزكية الروحية على قاعدة فكرية تستهدف إقناع المريد بما يمارسه.

ج- الإعداد الاجتماعي: ليس الصوفي عنده ذلك الفرد المنعزل عن أمته، فاستهدف الإعداد توثيق العلاقات بين الأفراد والجماعات والقضاء على أسباب التفكك الاجتماعي الذي ساد المجتمع. كذلك حرص الشيخ عبد القادر أن يبتعد بالمريد عن كل ما ينزل من مكانته الاجتماعية كالبطالة والعيش على هبات المحسنين، وسؤال الناس، وحثه على الاشتغال بالكسب والتجارة مع مراعاة قواعد الأخلاق والأمانة. وقال:... أن تصحب الأغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل... وعليك بصحبة الفقراء والتواضع وحسن الأدب

والسخاء... وعلى المريد أن يحذر من الضعف أمام عطاء الأغنياء، أو يطمع بنوالهم، لأن تملقهم من أخطر الأمور على دين المرء وعلى خلقه[1].

[1] ابن فضل الله، مسالك الابصار، ج1، ق1، ص104، والكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين، الولايات المتحدة، ص 302، وعفيفي، ابو العلا، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، الاسكندرية، 1953، ص56، الكيلاني، جمال الدين فالح، الشيخ عبد القادر الكيلاني، ص76.

8- الشيخ عبد القادر الجيلي ودوره الجهادي خلال الحروب الصليبية:

تدل الأخبار المتعلقة بالمدارس الإصلاحية وخصوصاً مدرسة الشيخ عبد القادر أنها لعبت دوراً رئيساً في إعداد جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية وذلك عن طريق الإسهام في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي: قام الشيخ عبد القادر الجيلي والمدرسة القادرية بدور هام في إعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي، فكانت تستقدمهم وتوفر لهم الإقامة والتعليم، ثم تعيدهم إلى مناطق الثغور والمرابطة. وكان من بين هؤلاء الطلاب بعضهم الذي اشتهر فيما بعد في ميدان الفقه و السياسة، كما شارك تلاميذ الشيخ عبد القادر في الجيش والجهاد العسكري؛ ومنهم بعض أولاده ومنهم "عبد العزيز، وموسى"، ويأتي على رأس هذه الجماعات أسرة صلاح الدين الأيوبي. كما اشتغل نفرٌ من تلاميذ المدرسة القادرية مع نور الدين ثم صلاح الدين في السياسية ولعب بعضهم أدواراً في غاية الخطورة وكان للشيخ عبد القادر، شخصيا اتصالات واسعة بقادة العالم الاسلامي، وتعاون وتنسيق مباشر وغير مباشر في الشؤون الثقافية والسياسية والعسكرية، واذا ما اتفقنا على هذا من ان الشيخ عبد القادر كان على وعي وقناعة وايمان بان الجهاد اعلى درجات الايمان وان محاربة الظلم والظالمين والعدوان والمعتدين افضل انواع العبادة، فلنا ان نقول باطمئنان ان الشيخ عبد القادر الجيلي، ابرز المجاهدين واشهرهم في محاربة الغزاة الصليبيين[1].

[1] للتوسع في موضوعة (الشيخ عبد القادر الكيلاني ودوره الجهادي خلال الحروب الصليبية) انظر: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 84-94 وابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، 205- 208، والذهبي، تاريخ

9- مع المدارس الفقهية:

كان الشيخ عبد القادر عالما متبصرا يتكلم في ثلاثة عشر علماً من علوم اللغة والشريعة، حيث كان الطلاب يقرؤون عليه في مدرسته دروسا من التفسير والحديث والمذهب والخلاف والأصول واللغة، وكان يقرأ القرآن بالقراءات وكان يفتي على مذهب الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام أحمد بن حنبل الشيباني وهذا هو المشهور والمتداول وهناك رواية فريدة، تصرح أنه أفتى على مذهب الإمام الاعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن النعمان الكوفي أيضا[1].

الاسلام، ج 30، ص170-175، والصفدي، الوافي بالوفيات، ج 19، ص 63-64، وينظر: الكيلاني، ماجد عرسان، المصدر السابق، ص 265، ومقابلة شخصية مع الدكتور ماجد عرسان الكيلاني بتاريخ 2005/8/12.

[1] التادفي، المصدر السابق، ص43، والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 5، ص 153-161، والاسنوي، طبقات الشافعية، ج 2، ص 157-158، وابن كثير، البداية والنهاية، ج 12، ص 131، ومصطفى جواد، أصول التاريخ والادب، ج23 ص54.

10- مؤلفات الشيخ:

صنف الشيخ عبد القادر الجيلاني مصنفات كثيرة في الأصول والفروع وفي أهل الأحوال والحقائق وبعضها منسوب، منها ما هو مطبوع ومنها مخطوط ومنها مصور وأغلب المطبوع منها مترجم إلى العديد من اللغات العالمية وهناك دور نشر غربية اوربية وامريكية، متخصصة بنشر كتبه باللغة الانكليزية، ومن الجدير بالذكر ان هذه الكتب اشتملت على العديد من المصطلحات، التى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية، وهى مصطلحات مكونة من ألفاظ قرآنية أو نبوية وموضوعة على معانيها، أو معان أخرى تجيزها الأصول القرآنية والنبوية ورتبنا بعضها ترتيبا ألف بائيا مشرقيا، من حرف الألف إلى حرف الياء على النحو التالى:

الأبد، الاتصال، الإحسان، الإخبات، الاختيار، الإخلاص، الإرادة، الاستقامة، الاصطفاء، الاصطناع، الاعتصام، الامتحان، الإنابة، الإيثار البخل، البسط، البصيرة، البعد، البقاء، البلاء، التبتل، التجلى، التسليم، التفريد، التفكر، التقديس، التقوى، التواضع، التوبة، التوجه، التوحيد، التوفيق، التوكل، الثقة، الجنة، الجوع، الحال، الحجاب، الحرص، الحرمة، الحرية، الحزن، الحسد، الحق، الحقيقة، الحكمة، الحياء، الحياة، الحيرة، الخاصة، الخاطر، الختم، الخشوع، الخشية، الخلق، الخلة، الخلوة، الخليفة، الخوف، الدعوى، الدنيا، الذكر، ذو العقل، الذوق، الران، الرجاء، الرضا، الرعاية، الرغبة، الرهبة، الروح، الرياء، الزهد، السالك، الستر، السكر، السكينة، السماع، الشاهد، الشريعة، الشكر، الصبر، الصدق، الصفاء، الطهارة، العارف، العامة، العبرة، العبادة، العجب، العدو، العزم،

الغرق، الغرور، الغشاوة، الغضب، الغيبة، الغيرة، الفتوة، الفرار، الفقر، الفناء، القرب، القلب، الكبر، اللطف، المأخوذ والمستلب، المجاهدة، المحاسبة، المحبة، المحو، المراقبة، المقام، المكر، النفس، الهمة، الهوى، الهيبة، الورع، الوفاء بالعهد، الولى، اليقظة، اليقين.

وأهم هذه الكتب :

- الغُنية لطالبي طريق الحق: وهو من أشهر كتب الشيخ في الأخلاق والآداب الإسلامية وهو جزءان حققه الدكتور فرج توفيق الوليد.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني: وهو من كتب الشيخ المشهورة وهو عبارة عن مجالس للشيوخ في الوعظ والإرشاد، يمتاز بقوة العبارة ودقة الوصف.
- فتوح الغيب: وهو عبارة عن مقالات للشيخ في العقائد والإرشاد ويتألف من 78 مقالة.
- إغاثة العارفين وغاية منى الواصلين.
- أوراد الجيلي.
- آداب السلوك والتوصل إلى منازل السلوك.
- تحفة المتقين وسبيل العارفين.
- جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.
- حزب الرجاء والانتهاء.
- الحزب الكبير.
- دعاء البسملة.

- الرسالة الغوثية: موجود منها نسخة في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- رسالة في الأسماء العظيمة للطريق إلى الله.
- الفيوضات الربانية: وهذا الكتاب ليس للشيخ ولكنه يحتوي الكثير من الأوراد والأدعية والأحزاب المنسوبة للشيخ.
- معراج لطيف المعاني.
- يواقيت الحكم.
- سر الأسرار في التصوف: وهو كتاب معروف وتوجد نسخة منه في المكتبة القادرية ببغداد وفي مكتبة جامعة إسطنبول.
- الطريق إلى الله: كتاب عن الخلوة والبيعة والأسماء السبعة.
- رسائل الشيخ عبد القادر: 15 رسالة، يوجد نسخة في مكتبة جامعة إسطنبول.
- المواهب الرحمانية: ذكره صاحب روضات الجنات.
- حزب عبد القادر الجيلي: مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة الأوقاف ببغداد.
- تنبيه الغبي إلى رؤية النبي: نسخة مخطوطة بمكتبة الفاتيكان بروما.
- وصايا الشيخ عبد القادر: موجود في مكتبة فيض الله الشيخ مراد تحت رقم 251.
- تفسير القرآن الكريم: وقام بتحقيقه الدكتور فاضل جيلاني وهو مطبوع في تركيا وغيرها، ولنا عنه دراسة مطولة منشورة، خلاصتها: انه لم يبق من التفسير إلا الاسم والخطوط العريضة للأصل، وأنه تعرض لإعادة صياغة تكاد تكون كاملة.
- الدلائل القادرية.

- الحديقة المصطفوية.
- الحجة البيضاء.
- عمدة الصالحين في ترجمة غنية الصالحين.
- بشائر الخيرات.
- ورد الشيخ عبد القادر الجيلي.
- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة.
- المختصر في علم الدين.
- مجموعة خطب[1].

[1] للتوسع في مؤلّفات الشّيخ عبد القادر المخطوطة والمطبوعة واماكن وجودها انظر: كتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة، للباحث، ص 64-70.

11- وفاته:

استمر الشيخ عبد القادر مثابرا في دعوته إلى الله تعالى والجهاد في سبيله، حتى وافاه الأجل ليلة السبت 10 ربيع الثاني سنة 561 هـ، فُرغ من تجهيزه ليلا وصلى عليه ولده عبد الوهاب في جماعة من حضر من أولاده وأصحابه، ثم دفن في رواق مدرسته، ولم يفتح باب المدرسة حتى علا النهار وأهرع الناس للصلاة على قبره و زيارته وكان يوما مشهودا، وبلغ تسعين سنة من عمره[1]. ولله در بعضهم حيث جمع ذلك كله يعني تاريخ الولادة والوفاة والعمر في بيت مفرد حيث قال:

إن باز الله سلطان الرجال
جاء في عشق و مات في كمال

فعلى هذا كلمة (عشق) عددها بالجمّل أربعمائة وسبعين، فهو تاريخ الولادة وكلمة (كمال)، أحد وتسعون فهو قدر العمر، وإذا ضمينا كلمة (عشق) مع كلمة (كمال) يكون الحاصل من العدد خمسمائة وأحد وستون، فهو تاريخ الوفاة للجيلي[2].

[1] ابن النجار، محب الدين، ذيل تاريخ بغداد، ط1، 5 ج، 5م، منشور مع كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، في المجلدات الخمسة 20، 19، 18، 17، 16، 1997. ج1، ص 248.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج 20، ص444.

12- أولاده:

كان للشيخ عبد القادر تسعة وأربعون ولداً، سبعةٌ وعشرون ذكراً والباقي إناث، منهم:

عبد العزيز بن الشيخ عبد القادر (ت 602 هـ)، تفقه على والده، وحدث ووعظ ودرّس وتخرج به غير واحد، ورحل إلى إحدى قرى سنجار واستوطنها في حدود سنة 580 هـ بعد أن غزا عسقلان وزار القدس وكانت ذريته في سنجار في منتصف القرن العاشر والرجل احد قادة جيش صلاح الدين الايوبي ومستشاريه "ومن ذريته صاحب هذه الدراسة المتواضعة".

عيسى بن الشيخ عبد القادر (ت 593 هـ)، تفقه على والده وسمع منه الحديث ومن غيره، ودرس وحدث ووعظ وأفتى، وصنف كتاب جواهر الأسرار ولطائف الأنوار في علوم الصوفية، وقدم مصر بعد وفاة والده وحدث بها ووعظ وتخرج به جماعة من أهلها، وتوفي فيها، وقد لبس منه خرقة التصوف القادرية بعض أهل مصر.

عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر (522 هـ-593 هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، قرأ الفقه على والده حتى برع فيه، ودرّس بمدرسة والده وهو حي نيابة عنه في مستهل سنة 543 هـ وقد تجاوز العشرين من عمره، ثم بعد وفاة والده اشتغل بالتدريس، وكان أميز اخوانه، وكان فصيح الوعظ حادّ الخاطر وله مروءة وسخاوة، وقد جعله الناصر لدين الله على المظالم فكان يوصل إليه حوائج الناس وكان ذلك سنة 583 هـ، وبنى تربة الجهة الخلاطية سلجق خاتون وتولى وقفها بأمر من الخليفة الناصر لدين الله. وروسل من

الديوان العزيز إلى الشام، وكان عبد الوهاب قد رحل إلى بلاد الهند في طلب العلم، وتخرج به غير واحد،وقرأ عليه ابن الدبيثي بعض الأحاديث.

وفي سنة 588 كفت يد عبد الوهاب عن وقف الجهة الخلاطية وأخرج ابناء الشيخ عبد القادر عن مدرستهم و سُلّمت إلى عبد الرحمن بن الجوزي (ت 597 هـ) وذلك بسبب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر، ثم رُدّت المدرسة إلى أبناء الشيخ عبد القادر بعد أن قبض على الوزير ابن يونس (ت 593 هـ).

عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر (528–603هـ) كان ثقة حافظاً زاهداً عابداً ورعاً "لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته" وكان فقيهاً صالحاً، تفقه على والده وحدث وأملى ودرّس وخرّج وأفتى، وتخرج به جماعة، "لكن معرفته بالحديث غطت على معرفته بالفقه"، وكان منقطعاً في منزله عن الناس لا يخرج إلاّ في الجمعات، "وكان خشن العيش صابراً على فقره، عزيز النفس عفيفاً على منهاج السلف"، وهو والد قاضي القضاة ابي صالح نصر بن عبد الرزاق .

ومن أحفاد الشيخ عبد القادر الذين لهم صلة بموضوع البحث: قاضي القضاة أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي (ت 633 هـ)، كان فقيهاً حنبلياً واعظاً، وكان مقدم مذهبه وشيخ وقته، درّس في مدرسة جده وغيرها، وقلد قضاء القضاة في خلافة الظاهر بأمر الله "ولم يقلد قضاء القضاة حنبلي سواه"، فسار سيرة حسنة من فتح بابه ورفع حُجابه والجلوس للناس عموماً والاذان على بابه والخروج إلى صلاة الجمعة راجلاً، ثم عزل سنة 623هـ فرجع إلى مدرسة جده يدرس ويفتي، ولما تكامل بناء الرباط المستجد بدير الروم جُعل شيخاً على من به من الزهاد إلى أن توفي، "وتخرج به في علمي الشريعة والحقيقة أناس من اهل بغداد".

وله كلام حسن. وكان مقداماً من الرجال لا يهاب، وله أشعار في الزهد، وفي سنة 630هـ انفذ رسولاً إلى الموصل واربل. وقد ألّف في الزهد، وبنيت له دكة بجامع القصر للمناظرة، وكان له قبول تام، وكان يحضره أناس كثيرون، ومن اولاد الشيخ عبد القادر، صالح وبه يكنى عند العامة، وله ايضا موسى ومحمد وعبد الغني وعبد الله، مع اختلاف المصادر.

يستنتج مما تقدم انه استمر احترام الناس، الخاصة منهم والعامة، لأبناء الشيخ عبد القادر الجيلي واحفاده، وبخاصة الذين حملوا منهم رسالة الشيخ عبد القادر، طيلة القرن السادس وحتى سقوط بغداد بيد التتار سنة 656 هـ ومن المعلوم، انتشار الاسرة القادرية شرقا وغربا ودورها السياسي والثقافي والديني والاجتماعي عبر العصور[1].

[1] الكيلاني، جمال الدين فالح، المصدر السابق، ص32.